بنت اصل:
لعنة الحرب على السلم

اجمل ما في الماضي انه يعود...يعود من مشهد الذاكرة وحدائق المواسم البعيدة ومن عمر طفولة وصبا كان... الماضي يعود بل يظل فينا كلّما نسجنا الوقت الباقي لنا بنول الشوق الى الصحب والاهل والوجوه الضائعة منا وحتى الى ملامح قاسية عذبتنا وأنهكتنا في حرب وجبهة وقتال...

بسام براك

من ذاكرة المعارك والموت والغياب اطل جاد الحاج على كل من لم ينسوا بعد ان امس الوطن هو التصاق باللحظة بل انهمار كالدمع فيها على من رحلوا وسبقوا سواهم الى الشهادة او السقوط. وان كان العمل المسرحي (بنت اصل) للمخرج غبريال يمين يعيد الى المسامع ما لا تستسيغه الآذان من باب الجرح لا من باب الصياغة الفنية فان مشهدية العمل أدتها الممثلة دارينا الجندي بنزق الاحتراف وبلغت في حركة جسمها وانفعال يديها وانكسار قدميها على الخشبة حدّ ابداع كلام آخر في كلمات النص. فالنص المتين لغوياً والمرافق بدقة لحركية صور في الشاشة الخلفية لم يراع الحاج فيه التخفيف من لمحات الالتفاف بين المتكلم والغائب والمخاطب ما كثف التراكم في الضمائر والشخصيات داخل الشخصية الواحدة علما ان الجندي رافقها ذلك الرجل بطرس حنا (بأداء شبه صامت لافت) ليخفف عنها عبء دور الذكورية هي الانثى الاصيلة.

وفيما تمكنت دارينا من اللعب بأعصاب الحضور بين ضحكة وبكاء وسيجارة عبثت بدخانها وفي ماض رمادي راوح النص المسرحي مكان ساحة القتال والميليشيات والرصاص الاسود وارخى فيه الحاج ثقله ولومه وعتبه على حرب ملعونة هجّرت وقتلت وما رحمت، وافرغ الكاتب خمساً وعشرين سنة من الحرب في خمس وخمسين دقيقة ممسرحة اشتملت على صورة السلاح المشوبة بالتطرف من دون مراعاة للغة السلاح التائقة الى التحرر من أي عدو كان.

ومن يراجع كلمة المؤلف في منشور العمل يلفته: (الحقيقة اننا طوينا الصفحة من دون ان نحفل بجدوى التذكر وتغافلنا من دون ان نعطي النقد والحوار مجالاً لاحداث التغيير الذي لا مهرب منه لئلا نعود الى التقاتل). لكن من سياق العرض المستوحى من ميديا الاغريقية يبان واضحاً ان الحاج لم يتمكن من لجم عنف الكلام في جوّ مسالم ووضع اصبعه على جرح لم يبرأ انما على الاقل تناسيناه.

من هذا المنطلق يبدو الحاج المتعمق بالكتابة والمفردات القريبة من حياتنا اليومية تارة وتلك المسبوكة بقريحة ادبية لا خلاف عليها، يبدو عازماً على استعادة الماضي المطوي ليفلش مرة اخرى وجعاً نوضبه في امتعة شبابنا ولا نسترجعه حتى امامنا. وقد اتى غبريال يمين باشارته المتحركة وبأدوات المسرح الهادئة المنمقة وشريط الصور الخلفية ليترك فسحة الوقت امام دارينا بتعابير الهمس والصراخ والاحساس التراجيدي متنقلة بين ما كان وما يحل بها وما تتوق اليه في مستقبل جميل يزينه اولادها، فالاولاد أي الجيل الطالع هم المنديل وبه يمسح اهل الحرب وابناؤها عبراتهم ويتطلعون الى غد خال من ممارسات لا تغتفر، وهذا ما انتهى اليه جاد الحاج وتوقف عنده بعناية مخرج العمل، تكاملاً وتجانساً مع مبدأ الحرية الاغريقية او قل لحسم الجدلية القائمة بين الخير والشر بين الفرد والمجتمع.

واذا اراد الناقد ان يتناول مسرحية بنت اصل لامرأة تسترجع معاناتها في الزواج من ذلك القائد المسلح وقتلها اخاها بتدبير من الزوج فبامكان الناقد ان يتحول الى قاض تماماً كما اطلق الحاج حكمه على السلاح كمادة شر مطلقة لا يُسامح عليها من تخلت عنهم دولتهم او من رماهم حامو الاوطان في ساحة المعمعة وتفرجوا عليهم لبنانيين كانوا ام عرباً مشرّدين.

لذا، يبقى الحكم على الحرب واسبابها ونتائجها وامرائها للتاريخ ولو ان المنتصر – للاسف – يكتب التاريخ ويبقى الرأي في (بنت اصل) علامة استفهام الى حين عمل مقابل يتجرأ في طرح اشكالية الحرب من باب الحاجة والفاقة لا من زاوية العنف والاقتتال.

ماساة امرأة

على مسرح مونو

دارينا الجندي

دارينا الجندي: ساعة توهّج

دخل جاد الحاج على خط المسرح في عمل يحمل عنوان "بنت أصل" وهو نص يستعيد صور الحرب ومختارات من بشاعتها لتكون، بمعنى ما، عبرة للأجيال الآتية. وقد كتب في مطوية المسرحية نصّاً قصيراً فيه عموميات ثقافية تدين اللفلفة، (اي لفلفة ؟) وتدعو إلى التغيير وتنادي بالحقيقة . السلام على الحقيقة. أما بعد.

عماد موسى

نص جاد الحاج واقعي، حاد في تعابيره، مطعّم بألفاظ الشارع التي عممها زياد رحباني في مسرحه وكذلك ريمون جبارة. ومن البيئة الدموية التي سادت طويلاً في خلال الحروب المتعاقبة، الأهلية والمتعددة الأوصاف غرف الحاج وقد عايش منها أول الفصول قبل أن يهاجر إلى أستراليا ومدن أوروبية باردة. المادة المسرحية، أو بنية النص المونودرامي جاهزة وفي متناول أي كاتب وشاعر وصحافي ومسرحي يلتقط مفردات الحرب وشذرات من هنا وهناك، متجنباً أي تفسيرعميق لها (للحرب) ولعبثيتها مكتفياً بسرد حكاية قاسية قد تكون حصلت أو تكون ممكنة الحصول في عز الهيجان الدموي والمجازر. يسرد الحاج مأساة صبيّة نمت وتفتحت أنوثتها مع بدايات الحرب ووقعت في غرام مرافق أصبح زعيماً ،وكان خيارها سيئاً أن تعيش شريكة لرجل من دون قيم. تخسر شقيقها وتخسر عمرها في غربة باريسية وتعود إلى فندق بيروتي ،سيشهد حفل عرس زوجها. تدخل إلى الفندق مع حامل أمتعتها وأمامه تعري نفسها وهو صامت أمام فورة الإعتراف والرغبة الجارفة بالإنتقام والإنكسار والحزن الكثيف .

في النص لمحات مضيئة وتفاصيل لافتة، منها وصف السيدة كيف رفعها المرافق وألقاها على كتفه وصعد بها، فتمنت أن يكون الدرج من دون نهاية ولا يصل إلى أي بيت، وسؤالها حامل الحقائب إذا كانت سيجارتها مشتعلة أو لا . . .ألخ

الدور الأول والوحيد لعبته الممثلة دارينا الجندي بانفعال وقوة، وهي الحاملة تجربة إنسانية لا تُنسى ولم تقلل الأعوام من حيويتها. فكأن مجمل الأحداث حصلت قبل أشهر لا قبل ربع قرن أو أكثر. عبّرت دارينا الجندي في أدائها عن شرخ عميق. عن حال نفسية مرضية لامست حدود الهذيان . فاختلطت الصور برأسها وبدا لها خادم الفندق للحظة أنه شقيقها .وتبلورت شخصيتها المتوترة بإفراطها في التدخين وطلب كأس ويسكي (ديورز من رعاة بنت اصل).

وفي موازاة الشخصية النافرة الدامعة تبدو شخصية خادم الفندق الأنيق اللابس سترة مزركشة، (بطرس حنا) متماسكة وقوية التعبير. وما قاله لا يتجاوز العبارات القليلة الضرورية جداً والتي جاءت صادقة وموآسية. وغلبت على تصرفات الخادم سمة الصديق الوفي و الشاهد والوعاء الذي فيه صبّت الحكاية. هو المتلقي وهي الراوية .

حاول غبريال يمين، بصيغ مشهدية .شاهدنا نماذج منها في مسرح بيروت . كسر إيقاع الصوت الواحد، فمرة نرى تطابقاً بين ممثلي الخشبة وصورتهما المتحركة على شاشة خلفية ومرّة نشاهد الممثلة مشغولة بتحضير عبوة، ومرّة تُستعاد مشاهد عابرة مصوّرة على درج متحف سرسق إلى صورة اليدين دون باقي الجسم ... ولو جاءت بعض هذه المشاهد بالأبيض والأسود لعبّرت أكثر عن المسافة الزمنية.

أما الديكور الذي صممه جورج الأسمر فاقتصر على كنبة وطاولة وكرسي، وهي جزء من أثاث جناح في فندق. ولا مؤثرات مبهرة بل بساطة واقتصاد. وفي المحصلة فالممثلة القديرة دارينا الجندي هي منقذة بنت أصل من مخاطر السردية والمشهدية المتداولة في نصوص كاتبي الحرب ومآسيها. فأداؤها على مستوى عالٍ من التقنية والتوهّج والمبالغة أحياناً في تجسيد التوتر الحاد والمترافق مع تدفق صور الماضي البشع.

مدة العرض ساعة استأهلت بعده دارينا تصفيقاً حاداً قابلتها بابتسامة اختلطت بآثار الدموع الطازجة أما جاد الحاج فبادر بعض الأصدقاء : انشاالله ما نكون زعجناكم. ولم يلقَ الجواب وهو . ضمناً . يعرفه من وجوه الخارجين .